أهمية الدراسات اللهجية والصوتية في التأليف المعجميّ

أ.د حمزة رابح بوجمل

المركز الجامعي الشريف بوشوشة-آفلو- الجزائر.

تسهم دراسة الاستعمال العامي للغة العربية عموما في دعم اللسانيات التطبيقية، ورفد الكثير من مجالاتها بمعطياتها اللهجية والصوتية؛ وذلك بما تقدّمه من مظاهر التطور اللغوي الذي أصابها وقوانينه الصوتية، ورصد تنوعها اللهجي، وتتبّع تاريخ اللغة العربية منذ نشأتها مع أخواتها السامية حتى وصولها إلى شكلها الحديث. وتحاول هذه الورقة البحثية المساهمة في إثراء المعجم التاريخي للعربية، ومعاجم العامّيّ الفصيح، وتشير أيضا إلى أهمية تقديم السياقات اللغوية المناسبة لتحديد دلالات غريب اللغة في القرآن الكريم وكلام العرب.

وما يزيد من أهمية هذا الموضوع هو التنوع اللهجي للقبائل العربية، وصلة القربى بينها، وأنّ بعضها أقرب إلى اللغة العربية الفصحى؛ فهي أشبه ما تكون بالمتحف اللغوي_ خاصة في بيئتها البدوية.

يهدف هذا البحث إلى الوقوف على أهمية مخرجات الدراسات اللهجية والصوتية ومدى مساهمتها في حل بعض القضايا اللغوية في اللفظ والدلالة ودفع تعارضها، وخاصة ما تعلق منها بالمعجم التاريخي للعربية، ومعاجم العامّيّ الفصيح، نحو: رصد تطور الكلمة على مر العصور لفظا ومعنى واشتقاقا واستعمالا، وطريقة كتابة، وتقديم السياقات اللغوية المناسبة لتحديد دلالات غريب اللغة.

ولتحقيق هذه الأهداف اعتمدنا المنهج التاريخي المقارن، إذ نركز على الظواهر اللهجية والصوتية للاستعمال العامي للغة العربية وما يقدّمه فقه اللغة المقارن من نتائج على ضوء اللغات السامية.

1. التأليف المعجميّ:

المعاجم مؤلفات تقوم -في عمومها وعلى اختلاف مناهجها- بجمع مفردات اللغة وتصنيفها وتبويبها، وشرحها بكل الطرق، نحو تحديد مكوناتها ووظائفها، وذكر سياقاتها وغيرها؛ فهي تجمع ثروة لغوية تمثلها مفردات مقرونة بشرحها وتفسير معانيها واشتقاقها وطريقة نقطها، وشواهد تبين مواضع استعمالها مرتبة ترتيبا معينا.

والمؤلفات المعجمية عند العرب تتشعّب إلى أنواع كثيرة، باعتبار الحجم، والعموم والخصوص، وعدد اللغات المستعملة، ونوع الترتيب، والزمن... نذكر منها[1]:

معاجم المعاني: هي المعاجم التي تخصص لطائفة من المعاني أو الموضوعات، وتبيّن الموادّ اللغوية التي تدلّ عليها بغض النّظر عن ترتيب ألفاظها.

معاجم الألفاظ: مؤلفات تشرح وتُوضّح المعاني والألفاظ والدّلالات الخاصّة بالألفاظ اللّغوية، وتعتمد في تبويب مادتها على الترتيب، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام: 1. معاجم الترتيب حسب الأبنية، 2. معاجم الترتيب الألفبائيّ، وتكون حسب الحرف الأول أو الأخير من الكلمة مع مراعاة التجريد أو بدونه، 3. معاجم الترتيب الصوتيّ، وتكون حسب المَخارج الصوتيّة للكلمة العربيّة.

معاجم المُعرَب والدّخيل: مؤلفات تحتوي على ألفاظ ومفردات دخلت إلى الاستعمال فى اللّغة العربيّة وهي من أصول غير عربية، سواء من أخواتها الساميات، مثل العبرية والحبشية... أو من الأمم الأخرى، مثل الرّوم والفرس...، وتم تعريبها وشاع استعمالها قبيل نزول الوحي وعصر التدوين.

معاجم العامّيّ الفصيح: وهي مؤلفات تعنى بالاستعمال العامي في الأقطار العربية والبحث في ظواهره اللهجية، وتجلية صلات القربى بينها وبين اللسان العربيّ، ولغاته الفصيحة. وتردّ هذه المؤلفاتُ المفرداتِ العاميةَ إلى أصولها الفصيحة وتبيّن استعمالاتها وشواهدها، وتشير أيضا إلى ما طرأ عليها من تغيرات وعادات نطقية دخيلة.

معاجم الأمثال: وهي المعاجم التي تحتوي على الأمثال العربيّة وشرحها وتوضيح معانيها وبيان موردها، وضروب استعمالها، ومقاصدها.

معاجم المصطلحات العلميّة والفنيّة: هي المعاجم التي تحتوي على المصطلحات العلميّة والفنيّة مرفوقة بشرحها وتوضيح المراد منها، وهي مؤلفات تتجاوز الأوضاع اللغوية الأولى إلى أوضاع ثانية وخاصة، قد اتفق عليها أهلُ فنّ من الفنون، نحو: الطب والفقه والأصول والنحو والبلاغة والتصوف والفلسفة...وتكون شاملة للألفاظ العربية والعجمية.

معاجم المفردات: وهي المعاجم التي تحتوي على المعاني الخاصّة بمُفردات القرآن الكريم والسُنّة النبويّة.

المعاجم التاريخية: مؤلفات أو دواوين تجمع مفردات اللّغة وفق نظام معيّن، مضبوطة ومشروحة مع مراعاة التّطوّر الدّلاليّ للفظ، بدءا بالمعنى الحسّيّ، وتدرجا معه عبر التاريخ، في ضوء الشّواهد المتنوّعة مع الإشارة إلى مظهر التّطور قدر الإمكان. فالمعاجم التاريخية العربية تتضمّن ذاكرة كلّ لفظٍ من ألفاظ اللّغة العربيّة، تسجِّلُ – بحسب المتاح من المعلومات – تاريخَ ظهوره وتحوّلاته، مكاناً، وزماناً، واستعمالاً، مع توثيق تلك الذّاكرة بالنّصوص التي تشهد على صحّة المعلومات الواردة فيها.

يهتمّ المعجم التاريخي بالتّطور اللفظي والدّلاليّ، حيث يتتبّع اللّفظة من تاريخ ميلادها بدلالتها الأولى، وتاريخ تحوّلاتها الدّلاليّة والصّرفيّة، ومكان ظهورها، ومستعمليها في تطوّراتها إن أمكن ذلك، دون أن يهمل الظّروف المحيطة بها، والأسباب التي جعلت المعنى يتغيّر من زمن إلى آخر، ولذلك يعدّ المعجم التّاريخيّ ذاكرة اللّغة الحيّة التي تدوّن سيرتها الذّاتية وتحفظها من التّحريف.

وهذا القسم من المعاجم لا يزال في مراحله الأولى على الرّغم مما تقدّمه بعض المؤسسات والباحثين من جهود مقارنةً باللّغات العالميّة الحيّة، التي تملك معاجمَ تاريخيّةً متجدّدةً؛ كالإنجليزيّة، والفرنسيّة، والألمانيّة، والإسبانيّة، والرّوسية...

وينقسم المعجم التّاريخيّ إلى قسمين هما [2]:

المعجم التّاريخيّ العام : ويعنى بالكلمات وتطوّرها من حيث اللفظ أو المعنى أو طريقة الكتابة مع تسجيل أصولها الاشتقاقيّة، وبداية دخولها للّغة وصيرورتها، بعد فترات من التّطوّر، ويمثّل هذا النّوع من المعجمات معجم أوكسفورد في اللّغة الإنجليزيّة.

المعجم الاشتقاقيّ أو التّأثيليّ : وهو الذي يرتكز اهتمامه على أصول الكلمات، أو ما قبل تاريخها، وعلى أصولها الحديثة، ممّا يجعله مقتصرا على شكل الكلمة دون معناها، وألفاظ اللّغة، فيدلّنا إن كانت الكلمة عربيّة أم فارسيّة أم يونانيّة ....

2. أهمية التأليف المعجميّ وأهدافه:

إنّ للمعاجم العربية عموما أهميّة كبيرة وأهدافا نبيلة؛ تتمثل في المساهمة في فهم القرآن الكريم، وضمان صحته بشكل كامل، وتسجيل استعمالات الألفاظ اللغوية مع شواهدها وأمثلتها من القرآن والكريم والسنة النبوية وكلام العرب شعرا ونثرا، لضمان استمرارها عبر الزّمن. كما تساعد على رصد سيرورة اللغة العربية لفظا ومعنى واستعمالا، وتبيّن طريقة اللفظ والهجاء للمفردات الواردة فيها. وتساهم المعاجم أيضا في التعرّض للجوانب الصناعية والعلمية الواصفة للغة، نحو: تحديد النّوع الصرفي للكلمة بين الاسم والفعل والحرف، والتّمييز بين المذكر والمؤنث منها، والجامد والمشتق، والحقيقة والمجاز، ونحو ذلك من الأمور الصرفيّة والنحوية والبلاغية. إضافة إلى ما سبق فإنّ للمعاجم أهميّة كبيرة في مجال التربية والتعليم، إذ تعدّ ثروة تنتخب منها مادّة مناسبة لتعليم اللّغة العربيّة للناطقين بها وبغيرها عبر جميع المستويات التعليمية.

هذه بعض النقاط التي تبيّن أهمية المؤلفات المعجمية على اختلاف أقسامها وتنوع مناهجها وأهدافها، وتزيد المعاجم التاريخية أهمية على ما سبق، كونها تبحث في نشوء اللّغة وتطوّراتها الاستعماليّة وشروحها، وتورد اختلاف اللّهجات فيها، وترتّبها تاريخيّا بحسب ظهور الصّيغة، وتبيّن المهجور منها والمستعمل؛ لأنّ هذا العمل يبيّن سياقات الاستعمال وسيرورة التّطوّر اللّغويّ، وخصوصية اللغة في الزمان والمكان. ولأنّ هذه المعاجم تحاول أن تصطبغ بالصّبغة التّاريخيّة لنعرف متى ظهرت اللّفظة على وجه التّقريب، ومتى أهملت، ومتى بعثت من جديد، وفي أيّ عصر، مع معانيها المختلفة، وذلك لأنّها كائن حيّ خاضعة لقانون التّطوّر والتّحوّل، وتزيد قيمتها إذا كانت حيّة وصورة دقيقة لحيوية اللّغة. كما أنها تساهم بنجاعة ووضوح في حماية تراث الأمّة اللّغويّ، والفكريّ والعلميّ، وتوحيد الأمّة العربيّة بتوحيد لغتها، وخدمة اللّغة العربيّة في مستوياتها المختلفة.

3. أهمية الدراسات اللهجية والصوتية:

ترتبط اللهجات العربية في كثير من ظواهرها باللغة العربية الفصحى، وتمثل شقها المنطوق، الذي ما يزال قيد الاستعمال في هذا الوقت، إضافة إلى عودة كثير من تغيّراتها إلى اللغة العربية القديمة[3]، وهذا ما يعطي للعناية بها ودراستها الأهمية الكبرى؛ وذلك لما تقدّمه من معطيات معرفية للسانيات العربية بشكل عام والمعجمية على وجه الخصوص، وما تقدّمه من وجوه تفسيرية للتغيّرات اللغوية والدلالية، والمسالك الاستعمالية، ومعرفة سيرورة اللسان العربي وتشكله بمظاهره البيئية.

أما الدراسات الصوتية الحديثة فقد خطت خطوات بعيدة المدى وفُتحت لها آفاق علمية واسعة؛ لاستعانتها بالمخترعات والتقنيات في وصف الأصوات وتحليلها، والتعرّف الدقيق على العملية النطقية والكشف عن الكثير من أسرارها[4]، وكذلك لابتعادها عن الظواهر الكتابية للغة التي كانت تحجب عن الدارسين القدامى كثيرا من الحقائق والخصائص الصوتية للغة، وأدّت بهم إلى نتائج وهمية لا تمتّ بصلة إلى واقع اللغة.

وقد كانت لنتائجها الأهمية البالغة في إعادة قراءة بقية المستويات اللسانية، والمساهمة في صياغة نظريات حديثة خصّصت للغة العربية بكل مجالاتها الاجتماعية والفردية نظرا وتطبيقا. ويمكن أن نحصر هذه النتائج في قسمين أحدهما منهجيّ والآخر موضوعيّ؛ فالأول: نتائجه متعلقة باعتماد المنهج الصوتي، نحو: معرفة مميزات الصوت اللغوي حال إفراده[5]، وحال دخوله التشكيل، والخصائص المقطعية للغة، وكذا الخصائص الأدائية لها كالنبر والتنغيم، إضافة إلى معرفة قوانين التغيّرات الصوتية وتعليلها تعليلا علميا موضوعيا بعيدا عن التخمين والتأويل والأحكام المسبقة [6]. أو تكون مرتبطة بتطبيق المنهجين التاريخي والمقارن، اللذين ساعدا على تفسير بعض الظواهر المعجمية ، ومعرفة قوانين التطور اللغوي، ومقارنة التغيرات الصوتية للغات التي تنتمي إلى أصل واحد.

والآخر: نتائجه معرفية موضوعية ترتبط بحدود الظاهرة المدروسة، وعلاقتها ببقية الظواهر، كالتمييز بين المنطوق والمكتوب، وبين اللغة والكلام، وتحديد المستويات اللسانية؛ لذلك أدت هذه النتائج إلى تشكّل حدودٍ موضوعيةٍ جديدة للعلوم اللغوية من صرف ومعجم ونحو وبلاغة...، ولتوضيح أثر هذه النتائج يكفي الاطلاع على فصول كتاب اللغة العربية معناها ومبناها للدكتور: تمام حسان، نحو: اللغة والكلام، الأصوات، النظام الصوتي، النظام الصرفي، النظام النحوي، الظواهر السياقية[7].

ويمكن أن تستثمر نتائج الدراسات اللهجية والصوتية في التأليف المعجمي الحديث، نحو: المعاجم التاريخية، ومعاجم العامّي الفصيح، في النقاط الآتية:

* استثمار نظرية الفونيم وخصائص التشكيل الصوتي للغة العربية ومعطيات النظام المقطعي وخصائص النسيج المقطعي للكلمة العربية في إعادة قراءة وتفسير بعض مسائل المعجم الدلالية كالترادف والمشترك، والصوتية، كالإعلال والإبدال والإدغام والإمالة....

* الاستعانة باللهجات العربية في التحقيب الزمني للظواهر اللغوية والدلالية، وإعادة ترتيب مداخل المعجم بناء على مراحل حياة وحداته اللغوية لفظا ودلالة واستعمالا.

* الاستفادة من نتائج الدرس الصوتي المقارن والتاريخي في تصحيح بعض الأخطاء والكتابات المعجمية التي تتسم بالقصور المعرفي والاضطراب المنهجي.

ولمّا رأينا الكثير من الباحثين في الحقل المعجميّ يصدرون في بحوثهم عن المصادر الكتابية من كلام العرب شعرا ونثرا؛ فإننا نوصي وننبّه إلى أهمية اللهجات العربية الحية كونها مصدرا شفاهيا يجيب عن الكثير من الأسئلة المنهجية والمعرفية في التأليف المعجمي خاصة، والدرس اللساني بشكل عام؛ وذلك لأنّ هذا الاستعمال العاميّ ضارب في التاريخ، ثريّ بالركام اللغويّ، لا نجد فيه مظاهر التطور اللغوي عن الفصحى كما هو شائع فقط، بل نجد فيه تطور الفصحى عن هذا العاميّ في كثير من الأحيان؛ لأنّه ما زال مستعملا بعض المظاهر اللغوية للعربية القديمة، التي تشكل الأصول التاريخية للفصحى، نحو: استعمال النظام الصوتي للعربية القديمة، والصيغ القديمة، والأبنية الأصلية للقلب المكاني، وغيرها.

وفيما يلي نقدّم بعض الأمثلة من الاستعمال العامي للعربية في وسط الجزائر، اخترنا فيها ظواهر لهجية حيّة، مثل التبدّلات الصوتية، والقلب المكاني، وبعض الأبنية الأصول التي تنتمي للغة العربية القديمة، والتي يمكن أن تسهم في ترتيب مداخل المعاجم وإيضاح دلالات وحداتها اللغوية، والمساهمة في تحقيبها زمانيا ومكانيا:

أ. الإبدال: وهو أن يوضع حرف موضع حرف آخر لدفع الثقل[8]، أو هو حَذف الحرف من الكَلمة ووضع حرف آخر غيره في المكان ذاته، وبذلك يختفي الأول ويحل الثاني موضعه، سواء أكان الحرفان صحيحين مثل: اصطبر واصتبر، أو معتلين مثل: باع وقال أصلها بيَع وقوَل، أو مختلفين مثل: دينار وقيراط وأصلها، دنّار و قرّاط."[9] ، وبيّن النحاة كذلك أنّ الغرض من هذا الإبدال بَيان الحروف التي تُبدل من غيرها إبدالاً شائعاً لغير الإدغام.

كما قد حَرصوا على أن يفرقوا بين الإبدال اللغوي والإبدال الصرفي أو (المطّرد) ففي المطّرد القياسي يكون الإبدال في حروف معينة، واختلفوا في عدد هذه الحروف أو الأصوات التي تُبدَل، فحروفها تسعة عند ابن مالك جمعها في "هدأت موطيا"، وعَبرَ عنها في التسهيل بـ: (طويت دائما)، فاسقط منها الهاء، وعدها بعضهم بأنها أحدَ عشر حرفاً كما وردت في التصريف الملوكي: "وحروف البدل من غير إدغام أحد عشر حرفا منها من حروف الزيادة ثمانية، وهي: الألف والواو والياء والهمزة والنون والميم والتاء والهاء وثلاثة من غيرها، الطاء والدال والجيم"[10] جمعها بعضهم في "أجد طويت منها"، وعدها آخرون اثني عشرَ حرفا في: "طال يوم أنجدته". فحروف الإبدال متعددة قد تصل إلى اثنين وعشرين حرفا، لكن استعمل العرب الضروري منها في التصريف فجمعتها على "هدأت موطيا" أو غيرها.

أما الإبدال اللغوي فهو سماعي غير مطّرد، إذ يختلف الكلام من قبيلة إلى أخرى، فقبيلة تَلفظُ: (مدح)، وأخرى تلفظُ (مده) بالهاء، ويرى اللغويون الإبدال يقع في كلام العرب، وحتى في الحركات أيضا، وبذلك عرّفوه: جعل حرف مكان آخر، أو حركة مكان أخرى، واختلفوا فيه، منهم من قال: كل كلمة أو كلمتين اختلفتا في حرف هو إبدال، من هؤلاء أبو الطيب اللغوي، وبعضهم يقول: إنه لابد من علاقة صوتية بينهما حتى يصح إبدال حرف مكان آخر، أمّا المحدثون فإنّهم رأوا أنه بالإمكان حصوله في الأصوات جميعاً، سواء التي فيها تقارب مخرجاً وصفة أو تقارب صفة وتباعدٌ مخرجاً، من هؤلاء، صاحب الرأي عبد الله أمين في كتابه الاشتقاق، ومنهم من قال بوجوب التقارب الصوتي ومن هؤلاء إبراهيم أنيس الذي يرى أن الإبدال هو تطور صوتي للكلمات.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الإبدال –مثل بقية التغيرات الصوتية الأخرى– يتحقّق في ضوء اختيارات نطقية ذوقية تختلف من قبيلة إلى قبيلة أو من بيئة إلى أخرى، تعمل على توفير الجهد والنزوع إلى السهولة والتيسير، ويشترط لهذه التغيرات الصوتية توفّر أمن اللبس حتى يتحقّقَ الفهمُ والإفهام الذي وضعت اللغة من أجله. والمثال على ذلك تحول الغين إلى القاف، في لهجاتنا العربية جعل الناطقين يحولون القاف إلى الكاف المجهورة، إذ يقولون: قريب في غريب، وگريب في قريب. والجيم المفردة –الشديدة المجهورة– (g) خضعت إلى قانون الأصوات الحنكية حيث تقدّمت إلى وسط الحنك في صورة مركبة(dj)، وبعدها تحولت في الاستعمالات اللهجية بين القبائل إلى ياء، ودال، وجيم، وشين[11].

ولهذا يجب على المعجميّ أن يكون على علم بالتبدلات الصوتية والتنوعات اللهجية التي تقع بين الأصوات اللغوية في اللسان العربي واللغات السامية قديما وحديثا؛ لكي يستطيع ضبط سيرورة وحداتها، وردّ تنوعاتها إلى موضع واحد، أو تفسير بعضها ببعض.

ومن الأمثلة على ذلك تحول الباء المهموسة (p) في اللغة العربية الحديثة إلى فاء، نحو: فول وفيل، إذ الأصل أنهما بالباء المهموسة، وفي المقابل تحول الفاء إلى ثاء، وقد حافظ الاستعمال اللهجيّ على هذه التنوعات، حيث ما زالت بعض المناطق في الجزائر وتونس ينطقون: فَمَّ بدلا من ثَمَّ، وفان بدلا من ثان. كما ورد في القرآن الكريم أيضا نحو قوله تعالى: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ﴾ [12]، حيث إنّ الفاء في فرث ما زالت تستعمل في شكلها القديم (ثاء) في بعض لهجاتنا العربية، أي: (ثِرث) مع إمالة فتحة الثاء إلى الكسرة. ولم تنطق (فرف) في العربية الحديثة تفاديا للتماثل مثلما وقع في كلمة (شمس).

ومن ذلك أيضا تحول الثاء إلى التاء، في قولهم (ثاب)، إذ تحولت إلى (تاب)، وبقيت الكلمتان مستعملتين في العربية الحديثة والقرآن الكريم، ولكن بحمولة دلالية إضافية وطرق استعمال لطيفة. فثاب

وتاب –على ما يبدو– في الأصل تدلان على مطلق العودة، ثم صارت (تاب) ومشتقاتها تدل على عودة أو رجوع مخصوص من ذنب مقترف، وصارت (ثاب) ومشتقاتها مقرونة بالأجر والستر...

ب. القلب المكاني: هو ظاهرة صوتية صرفية تخالفية تعمل على إعادة الانسجام للتشكيل الصوتي للأبنية العربية ودفع الثقل عنها؛ وذلك بأن تتبادل الأصوات المتجاورة أماكنها في السلسلة الكلامية[13]. ويرتبط القلب أيضا بالتتابعات الصوتية التي تكون أكثر اتساعا من النماذج المسموح بها أو الشائعة في اللغة؛ أي تكون النماذج التوزيعية أو التركيب الفونولوجي للغة هي السبب في حدوث القلب[14]. وغالبا ما تمثل هذه الظاهرة في الاستعمال العامي المرحلة القدمى للغة العربية، ونستطيع أن نعتمدها في تفسير التغيرات الصوتية وتتبع حياة مفرداتها، ورصد صلات القربى فيما بينها لفظا ومعنى. ومن الأمثلة عليها ما يلي:

القلب المكاني في **تاء الافتعال:** قلب تاء الافتعال مطرد في الاستعمال العامي، حيث يسعمل (اتفعل) بدل (افتعل)، ويمثل هذا التشكيل الاستعمال الأول لهذه الصيغة مثل بقية اللغات السامية، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى، نحو: اِتْلَوى، اِتْكَوى، اِتْشَوى، اِتْنَوى، اِتْرَوى[*].....

القلب المكاني مع الإبدال، ومن أمثلته كلمة (البقوق): اسم فيه قلب مكاني يقابله في اللغة العربية الفصحى: (الغبوق[*]) حيث تقدّمت الباء على الغين مع إبدالها قافا على عادة الاستعمال الشائع في هذه المناطق التي تستعمل القاف موضع الغين. وما نرجحه في هذا التشكيل أيضا أنّ الاستعمال العامي هو الأقدم، وذلك لأنه الأثقل بسبب إبدال الغين وتجاور القافين في هذا التشكيل مما يستدعي القلب لإعادة الانسجام لهذه البنية.

ومنه أيضا كلمة (قَرْضوف) بفتح القاف: فيها قلب مكاني لكلمة (غُضروف) مع الإبدال المطرد الذي يصيب صوت الغين فيتحول إلى القاف في لهجاتنا العربية في وسط الجزائر وبعض المناطق في الخليج العربي. وقد شاع تبادل القاف مع الغين قديما وحديثا، كما جاء في حديث أنس قال: ‹أتينا أهل خيبر حين بزقت الشمس›، وقد استعمل العرب: النشوق والنشوغ، وانقمس وانغمس، وغلغل وقلقل، وقفٌّ وغفٌّ[15]...وما يرجّح أقدمية الاستعمال العامي (قَرضوف) على الاستعمال الفصيح (غُضروف) هو تلك المماثلة الصوتية الواقعة بين الحركات، إذ ثبت أنّ صيغة **فَعلول** أقدم من صيغة **فُعلول**، نحو: جَمهور، وجُمهور.

ومن الأمثلة عليه أيضا القلب المكاني مع التبادل الصوتي الواقع بين أصوات الحلق في مثل: كلمة (حنش)، وكلمة (نهش) إذ ينتميان إلى أصل واحد، فنهش في الساميات قديما تدل على الثعبان، ثم وقع فيها قلب مكاني مع إبدال الهاء حاء، فصارت في الاستعمال الحديث حنش. وقد بقيت الصورة القديمة مستعملة في العربية ولكن بمعنى لازم لاسم الحنش وهو العضّ.

وفيما يلي بعض الثنائيات من اللهجات العربية تبين باختصار بعض الألفاظ ومشتقاتها التي مسّها القلب المكاني والتبادل الصوتي، تشير إلى قدم الاستعمال العامي عن اللغة العربية الحديثة من جهة، وتحتاج إلى قراءة صوتية وإعادة النظر في التمثيل الصرفي للأبنية العربية من جهة أخرى:

(جبد/ جذب)، (دله، يدلّه، داله، دهل، يدهل، داهل.../ ذهل...)، (هبل، يهبل، أهبل، مهبول.../بله، أبله...)، (عم، مع)، (زجّار/ جزّار)، (فعس، عفس، عسف/ عسف)، (كمظ، كظم)، (زلج، لزج)، (فرفر، رفرف)، (لجلج/ جلجل)، (يوهّر/يهوّر)، (عزوج/ عجوز)، (قعر/ عقر)، (لبز/ لزب)، (كرع/ ركع)، (يتصنّت/ يتنصّت)، (يتحسّى/ يحتسي).

خاتمة:

ما يمكن أن نختم به في هذه الورقة هو التنويه بأهمية الاستعمال العامّيّ في البيئات العربية بمظاهره اللهجية والصوتية الشفاهية وما يقدّمه للسانيات العربية عموما والمعجمية على وجه الخصوص، وأن لا يكتفي الباحثون في الحقل المعجميّ في بحوثهم بالمصادر الكتابية من كلام العرب شعرا ونثرا؛ لأنّ اللهجات العربية الحية مصدر شفاهيّ يجيب عن الكثير من الأسئلة المنهجية والمعرفية في هذا المجال؛ وذلك لأنّها موغلة في التاريخ، ثريّة بالركام اللغويّ، لا نجد فيها مظاهر التطور اللغوي عن الفصحى كما هو شائع فقط، بل نجد فيها تطور الفصحى عن هذه اللهجات في كثير من الأحيان.

ونشير كذلك إلى ضرورة استثمار نتائج الدراسات اللهجية والصوتية في التأليف المعجمي الحديث، نحو: المعاجم التاريخية، ومعاجم العامّي الفصيح، وذلك بالتركيز على النقاط الآتية:

* استغلال الظواهر اللهجية الحيّة، مثل التبدّلات الصوتية، والقلب المكاني، وبعض الأبنية الأصول التي تنتمي إلى اللغة العربية القديمة، في ترتيب مداخل المعاجم وإيضاح دلالات وحداتها اللغوية، والمساهمة في تحقيبها زمانيا ومكانيا.

* استثمار نظرية الفونيم وخصائص التشكيل الصوتي للغة العربية ومعطيات النظام المقطعي وخصائص النسيج المقطعي للكلمة العربية في إعادة قراءة وتفسير بعض مسائل المعجم الدلالية كالترادف والمشترك، والصوتية، كالإعلال والإبدال والإدغام والإمالة....

* الاستفادة من نتائج الدرس الصوتي المقارن والتاريخي في تصحيح بعض الأخطاء والكتابات المعجمية التي تتسم بالقصور المعرفي والاضطراب المنهجي.

الهوامش:

(1) أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، دار عالم الكتب، القاهرة ،مصر،ط2، 2003، ص: 175، 176، 177.

(2) أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، القاهرة، 2009م، مصر، ط2، ص:55، 66.

(3) ينظر: رياض عبود غوار الدليمي، اللسانيات والصوتيات ، جهود في اللغة والتحقيق، ، ط1 ، دار الغيداء للنشر والتوزيع، عمان الأردف 2014، ص127.

(4) كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2000م ص: 46-48.

(5) ينظر: نفس المصدر، 2000م، ص: 42 وما بعدها(فروع علم الأصوات).

(6) مجلي محمد أحمد كريري، اتجاهات التجديد في الصرف العربي الحديث، مجلة الدراسات الشرقية، جمعية خريجي أقسام الدراسات الشرقية بالجامعات المصرية، العدد: 53، يوليو2014م، المجلد الثاني، ص: 695.

(7) ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة)، مصر، (د.ط)، 1979م.

(8) الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة ، د ط، 2004، ص 09.

(9) محمد بن إبراهيم الحمد، فقه اللغة مفهومه موضوعاته قضاياه، درا ابن خزيمة، ط1، 2009م، ص 237.

(10) ابن يعيش، شرح الملوكي في التصريف، تح: فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، الطبعة الأولى، 1973م، ص 213.

(11) ينظر: آمنة صالح الزعبي، التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية، ط1، دار الكتاب الثقافي، إربد الأردن، 2005م، ص: 55-59.

(12) الآية 66 من سورة النساء.

(13) ينظر: عبد الفتاح الحمود، ظاهرة القلب المكاني في العربية، دار عمار . ط1 . 1406هـ . 1986م . عمان . الأردن ص11.

(14) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1418هـ ،1997م ، دط ، ص 390.

(*) تنطق كسرة الهمزه ممالة بين الفتحة والكسرة.

(*) الغبوق في المعاجم العربية: يقابل الصبوح، وهو ما يشرب أو يحلب مساء، ويدل في الاستعمال العامي عندنا على ملء الفم ماء أو حليبا. والمعنى الجامع بينهما فيما نرى هو القلة، إذ ما يشرب أو يحلب مساء يكون قليلا مقارنة بالصبوح.

(15) ينظر: التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية، ص: 49.

المصادر والمراجع:

1. أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، دار عالم الكتب، القاهرة ،مصر،ط2، 2003م.
2. أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1418هـ ،1997م ، دط.
3. أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، القاهرة، 2009م، مصر، ط2.
4. آمنة صالح الزعبي، التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية، ط1، دار الكتاب الثقافي، إربد الأردن، 2005م.
5. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة)، مصر، (د.ط)، 1979م.
6. رياض عبود غوار الدليمي، اللسانيات والصوتيات ، جهود في اللغة والتحقيق، ، ط1 ، دار الغيداء للنشر والتوزيع، عمان الأردن.

7. الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة ، د ط، 2004.
8. عبد الفتاح الحمود، ظاهرة القلب المكاني في العربية، دار عمار . ط1 . 1406هـ . 1986م . عمان . الأردن.
9. كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2000م.
10. مجلي محمد أحمد كريري، اتجاهات التجديد في الصرف العربي الحديث، مجلة الدراسات الشرقية، جمعية خريجي أقسام الدراسات الشرقية بالجامعات المصرية، العدد: 53، يوليو2014م، المجلد الثاني.
11. محمد بن إبراهيم الحمد، فقه اللغة مفهومه موضوعاته قضاياه، درا ابن خزيمة، ط1، 2009م.
12. ابن يعيش، شرح الملوكي في التصريف، تح: فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، الطبعة الأولى، 1973م.